والمضمون والمخاطبة ودورها، وعرض اسماء ابرز الروائيين العالميين ومآثرهم في خدمة قضية لغتهم. وقد ابدى هذا الاهتمام في الرواية وفق ما قدمه في مقدمة الكتاب، وذلك لأن «فيها عرض حياة الانسان في جميع ادواره، في ربيع حياته وخريفها، في صعوده وهبوطه، في آلامه وآماله، في سرائه وضرائه، وفقره وغناه، واهوائه واشواقه وسائر اطواره واحواله.

«والرواية اخذت تتطلب وتتحول الى ان اصبحت موضوع اهتمام السواد الاعظم من كل امة، ومسير كل قارىء وقارئة على الاطلاق، واصبحت فناً من اجمل فنون الادب، موضوعه الانسان، في حياته الاجتماعية والعمرانية والخلقية.

«وظهر في كل امة جمهور من نوابغ المفكرين، لم يكتبوا الا الروايات التي تناقلتها اللغات، وكان لها دوي عظيم عقبته انفجارات هائلة في النفوس وانقلابات خطيرة في احوال الامم...

«وظهر جبابرة الفن امثال كرنيل وراسين وموليير وبلزاك وهوغو وتولستوي وشكسبير وولتر سكوت وتورغينيف ودستويفسكي وغوته وشيلر وديكنز ومارك توين وايبسن ودوماس الكبير والصغير وزولا وشاتو بريان ودوريه وموباسان وبورجيه وغيرهم وغيرهم...

«الروائي يكتب للعـامة، وهم السواد الاعظم من كل امة... والعامة يميلون الى الرواية لأنها كتابهم ورفيقهم وعشيرهم، وهي اجمل ما يتلهون به في ساعات فراغهم، وافضل ما يرتاحون لمناخاته في خلوتهم... والروائي ان لم يعاشر العامة ويدرس احوالهم او لم يكن منهم ويعش بينهم او لم تكن فيه قوة التصور ومهارة التصوير وبراعة الصف، ولم يكن فيه النظرة الادبية الصادقة الى كل حادث، والارتيـاح التام بل الكلف التام ببحثه، وان لم يسر بعمله على الدوام الى الامام، الى اعلى درجات الكمال، ولم يكاشفه الالهام والوحي والنبوة، فليس بروائي. وهو ان لم يقرأ مئات الروايات، ومئات التواريخ، ولم يطلع على حوادث الكون، ويلج كل مجتمع، ويدرك معنى الحياة واسرارها واساليبها، وينتـزع غرض روايته من حوادث الحياة وطبيعة الانسان، ويجعلها منطبقة على الحقيقة والواقع، فليس بروائي متفنن... وهو ان لم يكن نبياً، يرى ببصيرته ما لا يراه غيره، وان لم يكن شاعراً يحلق في سماء الخيال، ولم يكن عالماً اجتماعياً يعلم الاحوال ويطلع على كل شأن من الشؤون، فليس بروائي ماهر...

«والرواية الحقيقية، الفنية، هي التي ترمي الى المغازي الحكمية او الاغراض الادبية، الى تجميد الفضائل او التنديد بالرذائل، الى تهذيب الاخلاق وتنوير العقول وتنقية القلوب واصلاح السيرة، وهي النقية من كل شائبة، الخالية من كل وصمة، التي تبقى اثراً في نفس القارىء، وتحدوه على التأمل، وتقوده في سبيل الرقي الادبي والحب النقي ـ هذه هي الرواية الحقيقية، الرواية الفنية، الرواية الخالدة...»[١٨].

ان الاعمال الادبية التي نشرتها «النفائس العصرية» وبضمنها مجموعة «مسارح الاذهان» هي قصص، او قصص طويلة (روايات)، ليست «موضوعة» لكنها «معربة» بلغة عربية سليمة، بسيطة وواضحة وتخلو من المصطلحات والكلمات القاموسية وبعيدة كل البعد من العبارات الغامضة. وهي مصاغة بتركيب وبناء جديدين يتواءمان والبيئة التي يراد لها ان تنشر فيها.

وهذا التقييم الايجابي لاعمال بيدس في الظروف التي عاش، يعني انه كان بنّاء ماهراً استطاع ان يوظف مكونات البنائية الفنية التي اختارها لخدمة هيكلية جديدة في بيئة جديدة، اي بمعنى انه كان قادراً على «فلسـطنـة» الادب الروسي بشكل خاص والادب الاجنبي بشكل عام. وبسبب من